الطرديات في شعر الناشئ الأكبر

م.م. حسين كزار صلال

وزارة التربية العراقية- مديرية تربية بابل- قسم تربية كوثى

husseinkzar378@gmail.com

الملخص:

الطرديات: جمع مفرده طردية بفتح الطاء والراء ، وتعني تلك القصائد التي اختصت بالصيد بوسائل الصيد المختلفة من طيور جارحة وحيوانات وهو فن موجود في العصر الجاهلي والاسلامي لكنه نما وازدهر في العصر العباسي فكتب الكثير من الشعراء في هذا الفن مثل ابن الرومي والصنوبري وابن المعتز والناشئ الاكبر والفت فيه العديد من الكتب مثل كتاب المصايد والمطارد لكشاجم.

فازدهرت هذه الهواية ازدهار كبيرا في العصر العباسي وخصوصا لدى الطبقة الحاكمة وقادة الجيش والاثرياء من الناس .فاتجه الشعراء إلى وصف هذه الهواية ووصف ما يستخدم فيها من وسائل الصيد المختلفة من الطيور الجارحة بأنواعها المختلفة مثل الباز والنسر والعقاب والصقر وغيرها ومن الحيوانات مثل الكلاب المدربة على الصيد والتي اصبحت الرفيق الدائم لرحلة الصيد وبعض الحيوانات الاخرى .

وقد قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث ، في المقدمة تناولت حياة الناشئ الاكبر (اسمه ،ولادته ،نشأته ، علمه ، شاعريته) اما المبحث الاول فكان بعنوان (الطرد بالجوارح) والجوارح هي الطيور التي تستخدم في الصيد ووصف هذه الطيور من ناحية الشكل واللون والحجم والقوة .

أما المبحث الثاني فكان بعنوان (الطرد بالكلاب) وهي النوع الثاني الذي اشتهر بالصيد بعد الطيور الجارحة ووصف ما تتميز به هذه الكلاب المدربة من قوة ومن حجم كبير وارجل طويلة وبيان العلاقة بين الكلب وصاحبه اثناء رحلة الصيد ،

وجاء المبحث الثالث بعنوان (الطرد بحيوانات اخرى) وذكر في هذا البحث حيوان جديد يسمى (عناق الارض) والذي هو نوع من السباع استخدم في الصيد .

الكلمات المفتاحية: (الطرديات، شعر ،الناشئ ،الاكبر).

Expulsions in the poetry of the great emerging

Hussein Kazar Salal

Iraqi Ministry of Education - Babil Education Directorate - Kutha Education Department

Abstract:

Tardiyat: The singular plural of tardiya with the opening of the ta' and the rā' means those poems that specialize in hunting using various means of hunting, including birds of prey and animals. It is an art that existed in the pre-Islamic and Islamic era, but it grew and flourished in the Abbasid era, so many poets wrote in this art, such as Ibn al-Rumi, al-Sanubari, Ibn al-Mu'tazz, and al-Nashi al-Akbar. He wrote many books in it, such as The Book of Fisheries and the Chaser of Lakshajim.

This hobby flourished greatly in the Abbasid era, especially among the ruling class, army commanders, and wealthy people. So poets turned to describing this hobby and describing the various hunting methods used in it, including birds of prey of various types such as the goshawk, eagle, eagle, falcon, and others, and animals such as dogs trained for hunting. Which has become a constant companion on hunting trips and some other animals.

The research was divided into an introduction and three sections. The introduction dealt with the life of the eldest youngster (his name, birth, upbringing, knowledge, and poetry). The first section was entitled (Repelling with Raptors). Raptors are the birds that are used in hunting and described these birds in terms of shape, color, size and strength.

The second section was entitled (Expulsion by Dogs) It is the second type that is famous for hunting after birds of prey. It describes the strength, large size and long legs of these trained dogs, and explains the relationship between the dog and its owner during the hunting trip.

The third section was entitled (Repulsion by other animals), and a new animal called (earth hug) was mentioned in this research, which is a type of wild animal used in hunting .

Keywords: (parcels, poetry, emerging, older)

المقدمة:

الناشئ الاكبر هو ابو العباس عبد الله بن محمد المعروف بابن شِرشير .ولد في مدينة الانبار ونشأ فيها ثم اتجه إلى بغداد مركز الخلافة العباسية ومركز العلم والعلماء في ذلك الوقت ، وبدأ ياخذ فيها العلوم المختلفة والتي ابدع فيها مثل علم المنطق وعلم الكلام وعارض العديد من علماء عصره في الداخل والخارج ثم خرج إلى مصر واقام فيها حتى وفاته سنة ٢٩٣هـ ، ولم تذكر المصادر التاريخية سنة ولادته واكتفت بالمكان ولم تذكر شيئا عن حياته في بدايتها وهذا طبيعي عند الكثير من الشعراء والادباء المعروفين الذين بلغوا مرحلة من الشهرة ولفت الانظار ، فاصبحوا محا اهتمام وتوثيق عكس ما كان في بداية حياتهم .

والسبب في تسمية الشاعر بهذا اللقب حسب ما صرحت به بعض[١] المصادر هو حضور الشاعر في بداية شبابه مجلساً من مجالس العلم وكان يميل إلى مذهب المعتزلة فتكلم وحاور على مذهب المعتزلة فغلب من ناظره ، فقام شيخ منهم وقبّلَ رأسه وقال : لا أعدمنا الله مثل هذا الناشئ أن يكون فينا وينشو في كل وقت مثله لنا واعجب ابو العباس هذا الاسم فلقبَ به .

وفي لسان العرب[٢] الناشئ فويق المحتلم ، وقيل الحدث الذي جاوز حدَّ الصغر . وهناك اسم آخر اشتهر به الناشئ الاكبر وهو ابن شِرشر اوشِرشِير وشِرشِر " اسم طائر يصل الديار المصرية في البحر زمن الشتاء وهو اكبر من الحمام بقليل وهو كثي الوجود بساحل دمياط وباسمه سُمي الرجل " [٣]ويقول الدميري " الشرشور طائر أغبر لطاقة الحمرة " [٤]

أما ملامح شخصية الناشئ الاكبر يمكن أن نحدد ملامحها من خلال قراءة شعره وآثاره الادبية التي وصلتنا في المصادر الادبية والتي من خلالها يمكن أن نرسم صورة لشخصيته الادبية المتميزة

والتي جمعت الكثير من العلوم فهو شاعر وناقد وكاتب ، فيلسوف ومتكلم ماهر في المعارضة يؤمن بمذهب المعتزلة يميل إلى التمتع بملذات الحياة من مجون وخمر ويحب الصيد والطرد .

وأسهمت البيئة الاجتماعية والعصر الذي عاش فيه في تشكيل ملامح شخصية الناشئ الاكبر ولعل اعتداد الشاعر بعلمه والفخر بنفسه ومناقضة العلماء وراء رحيله من بغداد الى مصر بالإضافة إلى انتهاء العصر الذهبي للمعتزلة على يد الخليفة العباسي المتوكل(٢٣٧هـ)

وكان الناشئ الاكبر شديد الاعجاب بنفسه وبشعره الذي اتسم بجزالة اللفظ وقوة المعنى بالإضافة إلى العلوم الاخرى منها علم المنطق وعلم الكلام وكان من الشعراء المجيدين طبقة ابن الرومي والبحتري كما يقول صاحب شذرات الذهب وهذا الاعجاب بالنفس كان محل انتقاد عدد من الادباء ومنهم ابن رشيق القيرواني الذي يقول " لا يجوز للشاعر .كما لا يجوز لغيره . أن يكون معجباً بنفسهِ ولا يجوز أن يكون الشاعر معجباً بنفسه على شعره وإن كان جيداً في ذاته حسناً عند سامعه ، فكيف إن كان دون ما يظن ؟ كقوم أفردوا لذلك نفسهم وافنوا فيه اعمارهم وما يحصلون على طائل " [٥]

ويصف ابن عماد الحنبلي الناشئ بأنه " من الشعراء المجيدين ، وهو في طبقة ابن الرومي والبحتري وأنظارهما ، وكان نحوياً عروضياً ، وكان متبحراً في عدة علوم في جملتها علم المنطق ، وكان من أنصار علم الكلام ،ونقض علل النحاة ،وأدخل على قواعد العروض شبها وامثلة بغير أمثلة الخليل وكل ذلك لقوة فطنته ، وله قصيدة في فنون من العلم على روي واحد تبلغ اربعة الاف بيت ،وله تصانيف جميلة ، وله اشعار كثيرة في جوارح الصيد وآلاته وما يتعلق بها كأنه كان صاحب صيد وقد استشهد كشاجم بشعره في كتاب المصايد والمطارد " [٦].

وفي العصر الحديث تناول عدد من الادباء الحديث عن الناشئ الاكبر فيقول د. شوقي ضيف أن الناشئ الاكبر " كان ذكياً ذكاء حاداً ، وصرف ذكاءه في مناهضة العباقرة من عالمه والعالم الخارجي ، إذ ألف كتاباً ينغض به منطق ارسطو وكتاباً ينغض بع آراء الخليل بن أحمد الفراهيدي في العروض ومثل لقواعده بغير أمثلته وحاول أن ينغض علل النحويين" [٧] وضاع الكثير من كتب

الناشئ الاكبر وشعره ، وربما يعود ذلك إلى تعارض آراء الناشئ الاكبر مع اتجاه الحاكم وخط الدولة الذي يرسمه صاحب السلطة.

المبحث الاول (الطرد بالجوارح)

على أن من عادة الشعراء العباسيين الذين الهمتهم الحياة المدنية في العصر العباسي وتطورها الذي جعلهم يميلون إلى وصف الطبيعة والصحراء والمدن والاشجار وكل ما تراه العين من جمال بسبب تمدن الخلافة العباسية التي كان من سببها النفور الى الحياة المستقرة اللطيفة المتمثلة بكثرة الجواري والغلمان والاموال وكل ما يتمتع به الانسان من الترف وراحة بال الامر الذي ابعدهم عن الصحراء وخشونتها وقساوتها وعدم لجؤهم إلى الحل والترحال كما يفعل البدوي في الصحراء حيث كثر بناء المدن الكبيرة كبغداد والبصرة الامر الذي حول الصحراء إلى نزهة يستمتعون بها بصيد الطيور والحيوانات من اجل الفكاهة والراحة والاستمتاع بملذات الحياة عكس ما كان الصيد في زمن الجاهلية يمثل نوعاً من كسب القوت وقد تبلورت هذه المشاهد والاحداث في الناشئ الاكبر الذي كان ولعه في الصيد وشرب الخمر إذ انهما يمثلان حياته اللاهية قبل أن يهاجر إلى مصر وقد مثلت طرديات الصيد التي تناولها مبحثنا الاول احدى اهم الطرديات التي اعتمد عليها إذ يقول الناشئ الاكبر في وصف البازي : [٨]

لما تَقَرَّى الليل عن أثباجهِ وارتاح ضُوء الصبح لانبلاجهِ [٩]

غدوتُ أبغي الصيدَ من منهاجهِ بأقمرٍ ابدع في اتلاجهِ

تندمج مرجعيات الصيد بالجوارح عن دلالتها المقصودة من خلال الزمن المتمثل بالعتمة وهو الليل وانفراج تلك الظلمة التي استدل بها الشاعر في الفعل (تقرى) إذ بدا بانسلاخ ظلمة الليل في اول نهاره حتى تشخص ذلك الزمن كإنسان اصابته السعادة في الجملة المستعارة (ارتاح ضوء الصبح) وهذه الجملة الفعلية كان سبب افراحها لوضوح اول النهار المستدل عليها بلام السببية او التعليلية في الجملة (لانبلاج) حيث مثلت جميع المرجعيات الدلالية لهذا البيت السابق الذكر عن بداية السباق في العملية الطردية المصحوبة بالصيد بالجوارح ويؤكد هذا المعنى في متابعة زمن الصيد اذ يتحول

الشاعر من زمن الفجر إلى زمن (الغدوة)اذ تتحرك الجملة الفعلية (غدوت ابغي الصيد) في أوج طرديته من خلال اتباع الجار والمجرور(من منهاجه) اذ ان عملية الصيد لم تختلف عن سابقتها في الجاهلية في أن يكون موعده من الفجر إلى نهاية الغدوة كما يقول امرؤ القيس

وغد اغتدي والطيَّر في وكناتها بمنجردٍ قيدٍ للاوابدِ هيكلِ [١٠]

وقد استخدم الشاعر آلة الصيد الصقر الأبيض (اقمر) لما له من دلالة على أن الشاعر من أهل الغنا والمكانة العالية في المجتمع لان الصقر الأبيض لا يمتلكهُ إلا اصحاب الحضوة والرئاسة فهو غالي الثمن. ويصف الناشئ الاكبر هذا الصّقر وابداع خلق الله سبحانه وتعالى فيه حيث يقول:

ألبسه الخالق من ديباجهِ ثوباً كفى الصانع من نساجهِ

حالٍ من الشوق إلى أوداجهِ وشياً يحارُ الطّرف في اندراجهِ [١١]

في نسق منه وفي انعراجهِ وزان فوْديْه إلى حِجاجهِ

بزينة كفتهْ نظْمَ تاجه يجمع دَلَّ الغيدِ في ابهاجهِ

ويفتخر الشاعر أيما افتخار بألة صيدهِ(الصقر) وكأنه قد امتلك درَّة فريدةً من نوعها حتى أن الله سبحانه وتعالى تمعنَ في صنعتهِ فقد ألبسهُ الديباج بدلاً من الريش وكأنه ثوب قد أتمه الصانع على أتم جمال فيصف الشاعر الصقر من جناحيهِ وصولاً إلى رأسه وعينيه وقد احتار الناظر في لحظهِ او تحديد جماله حيث احتار وانبهرَ في نسق ذلك الطائر إذ أن ابداع الخالق في هذا الطائر وكأنه اضاف اليهِ زينة على زينته حتى البسهُ التاج فوق رأسه.

وقال الشاعر يصف نوع آخر من الجوارح وهو (اليؤيؤ) [١٢]إذ يقول فيه: [١٣]

إنَّ اليئايئ أخف الطّيرِ أرواحا نعم وأسرعها في السعي إنجاحا

زرق كأن عيون الوحشِ أعينها سفح الخدود تزين الكفَّ والراحا[١٤]

مدبَّجات موشَّاة يلامقها يوضحن عن حكمة الرحمن إيضاحا

ويؤيؤٍ حُزتهُ من رأس شاهقةٍ جلْسٍ يُريكَ شخوصَ النّاسِ اشباحا

****

كأنَّ أظفاره أظفار ذي لبدٍ بزال اللاهب والاجساد جراحا

ينقض كالريح أو كالسهمِ منخرقاً أو كالشهابِ إذا ما انصاع ايضاحا

يجمع الشاعر نوع آخر من انواع الجوارح في كلمى اليئايئ ومفردها يؤيؤ إذ يصفها بالخفة والسرعة في جملة (إن اليئايئ اخف الطير ارواحا) وقد اكد هذه الصفة باستخدامه للجملة الاسمية التي تقدمتها إنَّ الناصبة (إنَّ اليئايئ) واتبعها على تأكيد هذه الصفة التي هي من أهم صفات الآلة الحربية للصقر(السرعة) التي تمثل عامل المباغتة واللحاق بالطريدة بقوله في كلمة الجواب الدال على الثبات (نعم) المتبوعة بالجملة المعطوفة بأداة التفضيل (واسرعها في السعي إنجاحا) ثم ينتقل إلى صفة اللون في قولهِ (زرق كأن عيونِ الوحشِ أعينها) وقد اضفى عليها صفة الافتراس المتمثلة بالوحش (الاسد ، النمر،....) متبعاً باللون الآخر (الاسود) في قوله (سفح الخدود) إذ يمثل هذان اللونان صفة من صفات الخوف التي يشعر بها المطارد إذ يرى في وجه اليؤيؤ عيون زرقاء ووجه أسود وسرعة تخطف القلوب وقد أخذت تلك الصفات كلها بمشيئة حكمة الرحمن سبحانه وتعالى (يوضحن عن حكمة الرحمن إيضاحا) وقد سجّلَ الشاعر إحدى ملاحظاتهِ حول الطَّيرِ الجارح اليؤيؤ بقولهِ (ويؤيؤ حزته من راس شاهقةٍ) إذ يصور هنا الجارح وقد جلسَ على رأس جبلٍ عالٍ مرتفعا جدا حتى يرى الناس وكأنّهم أشباح في قولهِ (يُريكَ شخوص الناسِ أشباحا) . وبعدَ أن أتم وصف شكله ولونهُ وإبداعِ الخالقِ في صنعتهِ يأتي الشاعر لوصف حجم ذلك الطائر(اليؤيؤ) فكأنَّ أضفاره أضفار أسد كبير عظيم الخلقة بقوله(كأنَّ أظفاره أضفار ذي لبدِ) ومع حجمه الكبير وأظفاره الطويلة ولونهُ الاسود فأنه ينقض على الطريدة كالريح أو السهم أو الشهاب الساقط من السماء إلى الارض .

ويذكر الشاعر نوع آخر ثالث من الجوارح وهو (الصَّرد) [١٥] فيذكره في قوله : [١٦]

لا شيء أحسن يا قناص من صُرَدٍ تلهيك في طَرَدٍ منها عن الطرَدِ

ذي منسرٍ كنواة القسبِ منعوج عن مثلِ سم المعا للطعم مزدردِ

وهامةٍ فخمة نسكا مدبجةٍ تبدو كطيخانةٍ أوفت على جددِ

واظفر كسُلاةٍ معطفةٍ أشدُ من لذ ع النارِ في الجسدِ

أو كالكتابِ الذ ي أنضاه كاتبه وناط منعرجاً منه بمطردِ

إذا تقنص عصفوراً فأوردهُ حوض المنيةِ عن أيدٍ وعن جَلَدِ

رأيت مثلينِ ذا بالقهرِ يغلب ذا ممكناً فيهِ حكم الليثِ في النَقَدِ(١٧)

تنطلق مرجعيات ودلالات هذه المقطوعة الشعرية للطائر الجارح (الصَّرد) عن محاورة للشاعر الناشئ الاكبر بينه وبين شخص آخر قد تناولا أطراف الحديث عن ما هو احسن طَرَد أو ما هو اجمل طير جارح فأجابهُ بعدَ تلك المحاورة بقوله نافياً ما يكون أجمل من لك (لا شيء أحسن يا قناص من صرد) وقد الهى لك الطائر عن كل صيد والمتعة فيه تكون اجمل من جميع الجوارح بقوله (تلهيك عن طرد) واصفاً لهُ وقد ابتدأَ بآلة القطع والقتل (المنقار) بقولة (ي منسرٍ) مشبهاً له (بنواة القسب) وهو لب الحجر المتمثل بالصلابة والشدةِ ، فينتقل من وصف المنقار إلى رأسهِ بقوله (وهامةٍ فخمةٍ) كأنها الصخرة الكبيرة التي تقع على الارض المنبسطة وينتقل بعد ذلك إلى اسفل جسد الطائر وهي المخالب بقولهِ(واظفر كسلاة معطفة) وقد شبهها بشوك النخل (السلا) في قوَّتها وحدَّتِها وقد كنى الشاعر بقولهِ (وأظفر) تشبيهاً بأظفر الكلاب او السباع بدلاً من قولهِ (مخالب) وهي اشدُّ وأكبر حجماً وأقوى صلابة وبهذا استعارَ له امكانية الطير الجارح في السماء والكلب الصائد على الارض وبهذا فهو مالك للسماء والأرض من ناحية الصيد والقبض على الطرائد ، وقد اشارَ الشاعر إلى صورة الصيد وهي تؤطِّر في داخلها عن لوحة تكشف عن وجود الصياد صاحب (الصَّرد) وعن الصائد (الصَّرد) وعن المصيود (العصفور) في قوله (إذا تقنص عصفوراً) فتنتهي اللوحة أو العرض المسرحي بإيراد ذلك العصفور في حوض المنية وقد مثلت هذه الطردية عن لوحة تراجيدية مأساوية إذ يغلب القوي الضعيف من حيث لا

قوة ولا دافع يستطيع المصيود دفعهُ إذ يقول الشاعر (رأيت مثلين ذا بالقهر يغلب ذا محكماً فيه حكم الليث في النقَدِ) ممثلا الشاعر صورة الصَّرد بصورة الليث وصورة العصفور بصورة النقد(الغنم) وهذه الصورة المسرحية تعبر عن مأساة الطبيعة حيث صورها الشاعر.

ويتناول الشاعر نوع رابع من الجوارح وهو (الزرَّق) [١٨]٣إذ يقول : [١٩]

يا قانِصُ اغْدُ علينا بِزُرَّقٍ مَخبورِ

مُناهضٍ للبوازي مغالبٍ للصْقُورِ

لهُ جناحٌ وَثِيرٌ مُضاعفُ التَنْمِيرِ

****

وكفٌّ سَبعٍ هصورٍ محجَّنِ الاظفورِ

ومنسرٍ ذو انعِطافٍ كقَرنِ ظبْيٍ غَرِيرِ

في هامَةٍ كنفَتْهُ كالنجدلِ المُستدِيرِ

وصدُ بازٍ طَرِيْرٍ مُفَوَف التحبِيْرِ

كأنَهُ ثَوبُ وَشيٍ مُعرَج التَسبيرِ

يبدأ الشاعر قصيدتهِ الشعرية وكأنه في مهرجان احتفالي منادياً صديقهُ او خادمهُ رافعاً صوتهُ بأداة النداء (يا قانص) معلناً عن الصيد في بداية الصباح بقوله في الجملة الفعلية (اغدو علينا) محدداً لنوع الطائر الجارح الصائد (بزرَّق) وهو نوع مجرب من الطيور الجارحة الشديدة العداوة والمتعجرفة الاخلاق في عملية الصيد بقوله (مناهض للبوازي مغالب للصقور) وبهذا قد حدد الشاعر إنّ الجارح (الزرَّق) هو أعلى من البازِ صفةً وغالب للصقورِ قوةً بعظمة الجناح وكبر حجم المنقار فيحدد ذلك في جملة (له جناح وثيرٌ مضاعف التنمِيرِ) فهو على قوة مضاعفة في الصيد مقارنة

ببغية الجوارح وتكاد تضفى عليه صفة الجمال المطلق مع القوة الخارقة فهو مكس بقماش ناعم ملمسه الحرير بقوله (مظاهر ببرودٍ مبطنُ بحريرِ)ويقفز الشاعر متنقلاً من مظاهر الجمال والنعومة إلى مظاهر القوة بقوله (وكفِّ سبعٍ هصورٍ) فتغلب على ذلك الطائر كناية ضخامة كف السبع وسواد الاظافر الكبيرة وهي دلالة مرجعية تصور الحجم الهائل لهذا الطائر الكبير حتى صور الشاعر حجم المنقار (المنسر) في انعطافهِ كقرن الظبي الكبير في حدَّتهِ وانعطافهِ وهذا دليل واضح على أن طائر الزرَّق من اكبر الجوارح واعظمها خِلقةً .

ومن خلال ما تقدم يثبت لنا إنَّ شعر الناشئ الاكبر في طردياتهِ قد تناول الجوارح على انواعها المختلفةِ (الباز، الاقمر ، اليؤيؤ، الصرَّد، الزرَّق) وهذا دليل على تولع الناشئ الاكبر بالطرد من ناحية خاصة وفيهِ دليل على رقي المجتمع آنذاك وترافتهِ واستقرارهِ من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وهي انعكاس للحياة المدنية التي يكثر فيها الغنى إذ كان اوج التقدم العربي في العصر العباسي الاول مما انعكس هذ ا الأمر على شعرهِ كما تقدم آنفاً

المبحث الثاني (الصيد بالكلاب)

لقد درج العرب منذ زمن قديم على تدريب بعض الحيوانات على عملية الصيد كي تساعدهم في ذلك العمل الذي يعود عليهم بالطعام ومنافع اخرى وقد اكَّدَ هذا المعنى سبحانه وتعالى في كتابه العزيز(**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ**) (٢٠).

في قولهِ سبحانه وتعالى تأكيد على عملية الصيد المشتركة مع كلاب مدربة أُعدَّت لهذا الغرض فهي من جانب شرعي محلل اكلها واستخدام جلود الحيوانات كملبس وفراش يستخدمهُ الانسان ، وهي ايضا متعة يقضي فيها الانسان اوقات فراغه ، او قد تكون مدعاة لعمل تجاري في صيد بعض الحيوانات النادرة أو هي تستخدم جلودها في منافع عامة يحتاجها الإنسان في مفردات عيشه اليومي وقد اكد الشاعر الناشئ الاكبر على استمرار عملية الصيد بالكلاب من العصر الجاهلي وحتى العصر العباسي التي تحولت في طياتها (عملية الصيد) إلى مقاطع شعرية تسمى الطرديات وللطرديات نسقها الخاص التي تختلف فيه عملية المطاردة للحيوانات في العصر الجاهلي فتلك تقتضي رحلة معينة

يصادف فيها الشاعر حيوان الوحش فيصف فيها عمليات المطاردة والصيد عن قصد او غير قصد وقد امتهنها بعض الناس أيام العصر الجاهلي

اما عصر الشاعر فكانت مهنةً للهوِ إذ يقول الشاعر في وصف كلب : [٢١]

قد اغتدي والليل في سوادِهِ لم يُمكِن الجُونَة مِنْ قيادِهِ[٢٢]

برائحٍ يهتزُّ في مقادِهِ مؤتلق كالسيفِ في اطِّرادِهِ

اغرَّ منسوبٍ إلى أجدادهِ يلحظ كالموتُورِ عن اولادهِ

أو قادحٍ للنَّارِ عن زنادهِ يسترقُ السمعَ على بعادهِ

ألحاظهُ تُخبِرُ عن مرادِهِ كأنّها تصدر عن فؤادهِ

يكفيهِ لحظ العينِ من اسيادهِ وَوَعدَهُ يوجدُ في إبعادهِ

يصور الشاعر في هذه المقطوعة الشعرية رحلة صيد ليست ببعيدة عن سكن الشاعر ولا توجد هناك صحراء موصوفة يصور فيها الشاعر مغامرات الصيد وقد بدأ رحلته من خلال الفعل المضارع (اغتدي) وهو زمن قريب من الفجر يصاحب فيه كلب الصيد من خلال قوله (برائح يهتز في مقاده)إذ إنَّ كلب الصيد قد عُلِّقَ في رقبتهِ طوق يقاد بهِ محركاً رأسه يميناً وشمالاً واصفاً له بقصر حجم ذلك الرأس بفم مدبب وهي من صفات كلاب الصيد مشبهاً له بالسيف في قوله (كالسيف في إطِّرادهِ) ومع سواد ذلك الكلب في اكثر الاحيان إلا أن هذا الكلب هو مكتسي بلون البياض في مرجعية المفردة (أغر) وهو الأبيض في لونهِ وهذا سليل الاصالة كونهُ كلب صيد في قوله (منسوب إلى اجدادهِ) وهو بين يدي سيده يلاحظ يميناً وشمالاً وينظر ادنى اشارة للانطلاق نحو الطريدة فهو كثائر نحو وتره في قوله (كالموتور عن اولاده) وقد يضيف الشاعر صفات اعلى من سابقتها في سرعة العدو أو الاندفاع نحو الطريدة (كقادح النّار) إذ يضرب بسرعة وقوة لتوليد شرارة الاحتراق في كلتا يديهِ على أنَّ ذلك الكلب هو مستمع جيد وإن كان الصوت الذي يصدر عن الفريسة بعيد المكان وهذا واضح في قول الشاعر في الجملة الفعلية (يسترقُ السمعَ على بعادهِ) وهذه الصفات قد ادركت من خلال ما يخفيه

الكلب في فؤادهِ والتي فضحتهُ الحاظُ عينيهِ في قول الشاعر(الحاظه تخبر عن مرادهِ) وقد تمتع كلب الصيد بذكاء حاد قد درّبَ عليه فقد تكفيهِ إشارة العين التي تصدر عن سيدهِ (يكفيهِ لحظ العينِ من اسيادهِ) وهذه صفة توفر عامل المباغتةِ والسرعة التي توفر شروط عملية الصيد الناجحة التي يرجوها كل صائد في حيوانه المدرب .

وفي قصيدة اخرى يصف كلب صيد فيقول الناشئ الاكبر : [٢٣]

يا ربَّ كَلبٍ أهلهُ في كسبهِ يَقوتُهم بسعْيِهِ وَدأبهِ

يظنَّهُ الناظرُ رَبَّ ربَّهِ يراهُ أدنى مِنْ سوينا قلبِهِ

يؤثرهُ عَلى كَرِيم صحبهِ يعذُو بكشحٍ لاحِقٍ بجنبهِ[٢٤]

ومقلةٍ مُبِينةٍ عن إربهِ إجيدَ كالريمِ نأى عَنْ سِرْبِهِ[٢٥]

مُمَلَّكٌ في العدوِ قطري سهبهِ يَلحقُ شدَّاً شرقَهُ بغربهِ[٢٦]

يخرج الشاعر في هذه القصيدة من دائرة الصيد وانفعالاته واحداثهِ الممتزجة بالطارد والمطرود إلى ساحة أو مسرح الدعاء المغطى بحالة التمني وهي قوله في مناجاة ربِّ العزة في أن يهب لهُ كلب صيد وقد دلت عليه مرجعية الجملة (ياربَّ كلب أهله في كسبهِ) التي تشير إلى فقر الشاعر وعوزه إلى قوت تكسبهم من خلال عملية الصيد (يقوتهم بسعيهِ ودأبهِ) وقد خرجت طردية الشاعر في هذه الابيات إلى عملية ممارسة مهنة عمل يستحصل فيها على قوت يومهِ من خلال عملية الصيد بعدَ أن كانت تدل على اللهو واللعب أما في البيت الثاني فقد أشارَ الشاعر إلى أنَّ ذلك الكلب الجارح هو أحد ابناء أو اجداد أفراد الاسرة يظنوا بهِ الناظر إنه سيد داخل هذه العائلة في قوله(يظنه الناظر ربَّ ربِّهِ) حتى يكون اقرب ما يكون إلى قلبهِ بقوله (يراه ادنى من سويداءِ قلبهِ) حتى بلغت معزة الكلب الجارح إلى صاحبهِ بأن يفضلهُ على اقرب اصحابه واعزهم بقوله(يؤثرهُ على كريمِ صحبهِ) وقد تطرقت مرجعيات الابيات اللاحقة إلى صفات ذلك الكلب القريب من قلب الشاعر ودعاءه بأن يكون له مقلة واسعة في قولهِ(ومقلة مُبينَةٍ عن إربهِ) كذلك رقبة طويلة مفعمة بالجمال متمثلاً لها بقولهِ (أجيدَ كالريمِ

نأى عن سربهِ) وهي كناية عن رقبة الغزال وهو يسعى لرقبة طويلة يبحث من خلالها بعينينِ لاحظتينِ عن سِربهِ المفقود حتى أنَّ ذلك الكلب الجارح يتمتع بسرعة وخفة تمكنه من الطريدة وهو يمتلك قوة العدو وكأنَّه يجمع ما بين المشرق والمغرب يكاد لا تفلت منهُ اي طريدة وهذه الصفة تجعلهُ صائداً يوفر لصاحبهِ القوت مهما كانت الطرائد سريعة وقوية .

وفي طردية ثالثة يصف الشاعر أحد الكلاب فيقول : [٢٧]

قد اغتدي والليلُ في حجابِهِ لم تُحللِ العقدةُ من نقابهِ

بأغضفٍ يعيش من عذابهِ من صولةٍ بظفرهِ ونابهِ[٢٨]

يراحُ أن يُدعى ليُغتدى به روحه ذي النشوة من شرابهِ

يخطُّ بالبُرثن في تُرابهِ خط يدِ الكاتب في كتابهِ

في البيت الاول يصور الشاعر وقت الطردية وقد تكررت هذه المفردة(قد اغتدي) كثيراً في العصر الجاهلي والعصر العباسي فوقت الصيد يبدأ مبكراً قبل ضوء الفجر الأول ، ومن يصاحب الشاعر في هذه الرحلة كلب مدرب نشيط تستهويه المطاردة في الصباح الباكر فهو يصاد ويأكل من صيده بجهدهِ الذي بذله في المطاردة ومن خلال آلات الصيد لديه وهما الظفر والناب ، ويشعر بنشوة كبيرة حين يُطلب للصيدِ فجراً فهي هواية لدى الكلب كما هي هواية لدى الناشئ الاكبر ويبدأ الكلب بضرب الارض بأرجله ويخط عليها ببراثنهِ وكأنَّه كاتب ماهر في الكتابة يخط الحروف في الكتاب

المبحث الثالث (الطرد بالحيوانات الاخرى)

من عادة الانسان من العصر الجاهلي وحتى أيام الشاعر الناشئ الاكبر في العصر العباسي اعتاد الناس الصيد او عملية الطرد أن تكون بأحدِ شكلين وهما إما أن يكون بالجوارح أو الصيد بالكلاب المدربة مصحوباً بالفرس أو الحصان وقد تكون الناقة رفيقة الصائد وإن كانت في بعضِ الأحيان إن كان الصياد فقير الحال وهو يسير على قدميهِ طلباً للصيدِ سواء كان ذلك طلباً للهو أو

مهنة للحصول على الطعام لسد رمق الجوع الذي ألمَّ ببعضِ النَّاس وكان في تلك الفترة الزمنية الممتدة من العصرِ الجاهلي إلى العصرِ العباسي يكون الصيد بحيوانات كبيرة أو صغيرة مدربة قليل جدا كالفهود أو النمور أو الذئاب لأنَّها من الحيوانات الصعبة المراس والشرسة بحيث لا تتعلم أو انَّها مع تربيتها تقتل صاحبها كما في القصة المشهورة أو المثل المشهور (كمجيرِ أُمُّ عامرِ) إلا أنَّ الشاعر ذكر نوع من الصيد لحيوان بري يدعى (عناق الارض) [٢٩] إذ يقول فيه الناشئ الاكبر[٣٠] :

من كانَ بالصيدِ كسَّاباً فقانِصُهُ ذو مرَّةٍ في سباعِ البيدِ مَوْدُودُ

لكنَّهُ كفتاة الحيّ بارزةً من خدرِها مالئ للعينِ مَوْدُودُ

حلو الشمائل في أجفانهِ وَطَفٌ صافي الاديمِ هضيمُ الكشَّحِ مَمْسودُ[٣١]

فيهِ من البدرِ أشباهٌ مُوافقةٌ منها لهُ سُفَعٌ في وَجههِ سُودُ

لهُ من الليث ناباهُ ومخلبهُ وَمنَ غريرِ الظباء النَحرُ والجيدُ

يُصغي بأذنينِ يبدي وَشكُ سَمعِهما له الذي غَيَّبَتْ في غولها البيدُ

كأنَّهُ لابسُ مِن جِلدهِ فَنَكاً في لينهِ لبنانِ الكفِّ تمهيدُ

ينسابُ كالأيمِ هَبَّالاً لبغيَتِهِ حتَّى إذا أمْكَنَته وَهوَ مكدودُ[٣٢]

سَطَتْ عَلَيهِ بها كفٌ المنونِ فما تبغي نجادً وورد الحينِ مُوْرُوْدُ

ينطلق الشاعر في المقطوعة الشعرية السابقة لذكر مهنة الصيد المصحوبة بالحصول على الطعام بقوله (من كان بالصيدِ كسَّابا) فعليهِ استصحاب حيواناً شرساً متمكناً من الصيد بحيث يمكن من سباع الحيوانات بقولهِ (ذو مرةٍ في سباع البيدِ معدودُ) وهو بهذه الصفة قد جعلهُ ينتمي إلى سباعِ الصحراءِ التي لا تحتوي إلا تلك الوحوش الصائدة وعلى الرغم من جسارة لك الحيوان وقوتهِ الذي جعلهُ من السباع القليلة العدد في مرجعية (معدود) فهو خجول لايكاد يخرج إلى الصيد إلا إذا استصحبهُ الصائد معه مشبهاً لهُ بفتاة الحي البارزة من الخدر محبوبة النظر بقوله(كفتاة الحيّ بارزة

من خدرها) ويضفي الشاعر عليه صفات الجمال المحبوبة للناظر فهو حلو الشمائلِ ، جميل العيون والاجفان (في اجفانهِ وطف) لامع اللون (صافي الاديم) دقيق الكشح وهذا دلالة على سرعته في العدو(هضيمِ الكشحِ ممسودُ) ويكمل الناشئ الاكبر صفات الجمال لهذا الحيوان الكاسر فهو كالبدرِ (فيهِ من البدر أشباهٌ موافقةُ) وقد طرَّز خال في وجههِ اسود اللون (له سفعٌ في وجههِ سودُ) إلَّا أنّه رغم ذلك الجمال تنبثق مرجعية القوة في حيوان (عناق الارض) في ناباه ومخلبهُ تشبه الليث في قوله (له من الليث ناباه ومخلبه) مجتمعة معه جمال النحر والجيد في مرجعية الجملة (ومن غريرِ الظباءِ النَحرُ والجيدُ) إلّا أنَّ اذناه الصغيرة التي تشبه أذني السلوقي يسترق بهما السمع من الصحراء البعيدة قابضاً على كل صوت بتلك الاذنينِ لصيد الفرائس أو تتبعها من بعيد ويجمع تلك الصفات المتعددة أو قد تكون متناقضة فمن السطوة في النابينِ والمخالب إلى جمالِ الوجهِ والجيدِ ليكوّن لنا حيوان كاسر محبوب الصيد بهِ وفي طريقةِ صيده قد ذكر الشاعر حالته في خداعِ الفريسة ليتمكن منها في قولهِ (كأنه لابس من جلده فنكا) فهو ينساب إلى الطريدة بكل أنواع الختل والمكر والخفة كأفعى تتحرك من غيرِ صوت (ينسابُ كالأيمِ هبالاً لبغيتهِ) حتى إذا تمكن من الطريدة اظهرَ لها جسدهُ القوي وأنيابهُ القاطعة في قولهِ (حتّى أذا أمكنته وهو مكدودُ) اي أنه وصل إلى الطريدة بعد تعب ومشقة لاستعمالهِ الحيلة في ذلك وقد استعار الشاعر لعملية القبض على الطريدة بكف المنون التي لا يفلت منها احد بقولهِ (سطت عليهِ بها كفُّ المنون) وتلك الكف لا ينجو احداً من مخالبها القوية الطويلة فهو محاط بقفص من المخالب وقد حصلَ الموت الذي لا مهرب منهُ بقوله في الجملة الفعلية (تبغي نجادً وورد الحينِ موروُدُ) وبهذه الصورة السابقة الذكر قد كان هذا النوع من الطرائد فريد من نوعه وذكره .

ومن خلال ما تقدم في ذكر الصيد بالحيوانات الاخرى نرى انّه لا توجد في الديوان سوى قصيدة واحدة تناول بها الشاعر الصيد بحيوان (عناق الارض) وهي تمثل كسب القوت من الصحراء أو اي مكان فيه طرائد تصلح للصيد مثل بقر الوحش والغزلان مما يصور مهنة كسب الطعام بالحلال بممارسة الصيد أو انّها قد مثلت على قلة استخدام ذلك الحيوان انّها ارتبطت بأشخاص معينين كأن يكونوا قادة جيش او وزراء او انسان شجاع استطاعَ ترويض ذلك الحيوان المفترس لأنّه من المشهور إنَّ كثرة الصيد أو ذكر طرائد الحيوان تكون من العادة بالجوارح (الطيور) أو بالكلاب المدربة .

الخاتمة:

تنبثق المرجعيات الصورية والدلالية لمعاني الطرائد والكر والفر في الصيد التي يمثلها الصائد المتخفي سواء كان انسان أو حيوان في عملية أو مشاهد الصورة الحسية في وصف الصيد من خلال الطيور الجوارح والكلاب المدربة او السباع وهذه بكلياتها المجتمعة مثلت صور من صور الحياة اليومية الاجتماعية في العصر العباسي وهي إن دلت بمضمونها أو بصراحتها قد اظهرت مدى التطور والتمدن في حياة الانسان التي كان يعيشها في ذلك الزمن إلّا أنَّ الشاعر (الناشئ الاكبر) لم يصور لنا حالة الصيد للإنسان بمفرده فلم يصور صيد الحيوان بالرمح او القوس او شباك الصيد وهذا يعطينا دليل أنّه لم يكونوا قد امتهنوا مهنة الصيد انما كانت للهو واللعب .

الهوامش:

(١) ابن النديم ، الفهرست، ص٤١٧، الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٢٩/١٥.
(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة نشأ.
(٣) ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٢١٥.
(٤) الدميري، حياة الحيوان الكبرى (الشرشور).
(٥) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج٢، ص١١٧.
(٦) ابن اعماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٢، ص٢١٤.
(٧) شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ١٩٧٧، ص٤٩٣.
(٨) هلال ناجي، ديوان الناشئ الاكبر، مجلة المورد العراقية، المقطوعة ٢٠، ١٩٨٢، ص٤٨.
(٩) تعرّى-تشقق، الاحمر-الابيض.
(١٠) امرؤ القيس، الديوان.
(١١) حالٍ، أي لبسَ حلياً.
(١٢) اليئايئ، جميع يؤيؤ وهو ضرب من الصقور.
(١٣) سفع: الاسود المشرب بالحمرة.
(١٤) هلال ناجي، ديوان الناشئ الاكبر، مجلة المورد، مقطوعة ٢١، ص٥٠.
(١٥) الصرد: طائر ضخم الرأس ابيض البطن اخضر الظهر يصطاد صغار الطير.
(١٦) هلال ناجي، ديوان الناشئ الاكبر، مجلة المورد، مقطوعة ٣٢، ص٥٧.
(١٧) النقد: جنس من الغنم صغير الارجل.
(١٨) الزرق: ضرب من البازي – مخبور: مجرب-المناهض: المقاوم.
(١٩) هلال ناجي، ديوان الناشئ الاكبر، مقطوعة ٥٩، ص٧٢.

(٢٠) سورة المائدة ٩٤.
(٢١) هلال ناجي، ديوان الناشئ الاكبر، مجلة المورد، مقطوعة ٤٠، ص٦٠.
(٢٢) الجونة: الشمس، إطرادة: جريه.
(٢٣) هلال ناجي، ديوان الناشئ الاكبر، مقطوعة ١٦، ص٤٦.
(٢٤) الكشح: ما بين الخاصرة الى الضلع الخلف وهو من لدن السرة الى المتن.
(٢٥) الجيد، طول العنق وحسنه.
(٢٦) السهب، الفلاة، وما بعد من الارض.
(٢٧) هلال ناجي، ديوان الناشئ الاكبر، مقطوعة ١٥، ص٤٥.
(٢٨) أغضف: مسترخي الاذان.
(٢٩) عناق الارض الذكر: نوع من السباع بحجم الكلب الصغير وشبيه بالفهد.
(٣٠) هلال ناجي، ديوان الناشئ الاكبر، مقطوعة ٢٣، ص٥١.
(٣١) الوطف: طول الاهداب وكثرة شعرها.
(٣٢) الأيم: الأفعى- هبالاً: محتالاً.

قائمة المراجع:

القرآن الكريم

١. ابن النديم ، الفهرست ،مطبعة الاستقامة ، القاهرة ،مصر.
٢. ابن خلكان ،وفيات الاعيان وانباء أبناء الزمان ،تحقيق احسان عباس ، دار الثقافة ،بيروت.
٣. ابن منظور ، لسان العرب ، مادة نشأ .
٤. ابن عماد الحنبلي ، شذرات الذهب ،دار الفكر ، بيروت ،ط١ ،١٩٧٩ .
٥. ابن رشيق القيرواني ،العمدة في محاسن وآدابه ونقده ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،دار الجيل بيروت ،١٩٨١.
٦. ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابهِ ونقده، تحقيق محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١.
٧. . الدميري ، حياة الحيوان الكبرى (الشرشور).
٨. امرؤ القيس ، الديوان.
٩. الصفدي ، الوافي بالوفيات.

١٠. إحسان عباس ، تاريخ النقد الادبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري . بيروت ١٩٧١.
١١. شوقي ضيف ، العصر العباسي الثاني ، دار المعارف ١٩٧٧.
١٢. هلال ناجي ،ديوان الناشئ الاكبر، مجلة المورد ، العدد الثالث ،مج١١، ١٩٨٢.